

إرشادُ أهلِ الإحسانِ إلى أنْ في المالِ حقًّا غيرَ الزكاةِ، وأنَّ الصدقةَ برهانُ الإيمانِ ومفتاحُ الرزقِ والجنانِ

2026-07-31

الحمد لله الكريم المَنَّان، واسع الفضل والإحسان، جعل الزكاةَ طهرةً
للأموال، وجعل الصدقةَ باباً لرفع البلاء ونيل الرضوان، فسبحانه من إله
خلق الخلق فأحصاهم عدداً، وقسم بينهم الأرزاق فلم ينسَ منهم أحداً، وسع
كل شيء رحمةً وعلماً، وأغنى وأقنى، وأفقر وأغنى، وأعطى ومنع، وهو
الحكيم فيما قضى وقدر. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، البرّ
الجواد الكريم، القابض الباسط الرحمن الرحيم، أمر بالإنفاق في سبيله.
ووعد على ذلك خيراً كثيراً. فقال تعالى في سورة البقرة: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ
وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ}، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده الذي
عمّ فضله جميع الوجود. ورسوله الذي لولاه لم يكن لهذا العالم وجود.
وصفيه الذي من شيمه الإيثار والجود، وخليله الذي ليس لمكارم أخلاقه
حدود،

يا أمة المصطفى يا أشرف الأمم * هذا نبيكم المخصوص بالكرم

هو الرؤوف الرحيم الطاهر الشيم * إن شئتم أن تنالوا رفعةً وغنى

صلوا عليه لعل الله يرحمنا

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد. الجامع لأشتات المحاسن ومكارم
الأخلاق. وعلى آله المنتخبين من أطيب العناصر ونفائس الأعراق.
وصحابته الذين كانوا في المسارعة إلى الخيرات من السُّبَّاق، فكانوا يُنفِقُونَ
مِمَّا يَحِبُّونَ، وَيُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ تَوَكُّلاً عَلَى الْمَلِكِ الرَّزَّاقِ. صلاة تنفّس
بها عنّا الخناق. وتفتح لنا بها الأغلاق. وتدرّ بها علينا سحائب الأرزاق.
وتكفينا بها نكبات الدهر وشرّ الإملاق. بفضلِكَ وكرمِكَ يا أرحم الراحمين.
يا ربّ العالمين. أمّا بعد: فيا أيّها المسلمون. إنّ الإسلام لم يجعل المال غايةً
يتنافس الناس عليها، وإنما جعله وسيلةً إلى عمارة الأرض، وإقامة العدل،

وتحقيق التكافل، ونشر الرحمة بين الخلق. فالمال مال الله، والعبد مستخلف فيه، كما قال جل جلاله في سورة النور: {وَعَاثُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَايَكُمْ}، وقال سبحانه في سورة الحديد: {وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ}، فالمال ليس ملكًا مطلقًا للعبد، وإنما هو أمانة بين يديه، يُسأل عنها يوم القيامة. قال رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذي: (((لا تَزُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ أَخَذَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ))، أيها المسلمون. لقد فرض الله الزكاة، وجعلها ركنًا من أركان الإسلام، وطهرةً للأموال والنفوس. لكن الإسلام لم يقف عند حد الفرض، بل فتح أبوابًا واسعة للإحسان والإنفاق والصدقات. فقد يكون الإنسان قد أدى زكاته كاملة، ثم يرى جاره جائعًا، أو قريبًا مديونًا، أو يتيمًا لا يجد قوت يومه، أو أرملًا لا تجد دواءً، أو منكوبين في حرب أو زلزال أو حريق، أفيقول: لقد أخرجتُ الزكاة ولا شأن لي بعد ذلك؟ كلا والله، إن الإيمان أوسع من ذلك، والرحمة أكبر من ذلك، والإحسان أعلى من ذلك. ولهذا قال ربنا سبحانه في سورة آل عمران: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}، تأملوا رحمكم الله، لم يقل: حتى تؤدّوا الزكاة. بل قال: {حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}، فالبر الكامل لا يكون إلا ببذل المحبوب. وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا نزلت هذه الآية، تسابقوا إلى أحب أموالهم. فهذا أبو طلحة رضي الله عنه، وكانت أحب أمواله إليه بستان اسمه "بَيْرُ حَاءٍ"، ففي المتفق عليه: ((أنه لما سمع الآية جاء إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، إن أحب أموالي إلي بَيْرُ حَاءٍ، وإنها صدقة لله. فقال له النبي ﷺ: بخ بخ، ذلك مال رابح))، فهكذا يصنع الإيمان. لا يبحث عن أقل ما يخرج، وإنما يبحث عن أحب ما يقدم. أيها المسلمون. قد يقول قائل: إذا كانت الزكاة قد فرضها الله، فهل يبقى في المال حق بعد إخراجها؟ وهذا سؤال قديم، تكلم فيه العلماء قديمًا وحديثًا، وجاءت فيه النصوص والآثار. فقد روى الإمام الترمذي عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: ((إن في المال حقًا سوى الزكاة))، لأن المقصود أن الزكاة هي الحق المفروض المقدّر، ثم قد تعرض أحوال وضرورات يجب معها على الأغنياء أن يبذلوا من أموالهم ما يدفع الهلاك عن إخوانهم، أو يرفع

الضرر العام عن المسلمين. ولهذا قال الله تعالى بعد ذكر أهل البر: كما في سورة البقرة: {وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ}، وقد ذكر العلماء أن هذه الآية تدل على سعة أبواب الإنفاق، وأن البر لا يقتصر على الزكاة وحدها. وقال سبحانه في سورة الإنسان: {وَيُطْعَمُونَ أَلْطَّامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ}، وهؤلاء لم يُطعموا من الزكاة، وإنما أطعموا من أموالهم تقرباً إلى الله تعالى. بل إن الله مدح الذين يُنفقون في كل الأحوال فقال في سورة: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ}، أي: في حال الغنى، وفي حال الضيق، لأن الكريم لا يمنعه قلة المال من الإحسان. أيها المسلمون. لقد قرّر فقهاء المالكية قاعدة عظيمة، وهي أن الضرورات إذا نزلت بالمسلمين، ولم تكف الزكاة لدفعها، وجب على الأغنياء بذل ما يدفع الضرر عن المحتاجين. قال الإمام القرطبي المالكي رحمه الله في تفسيره: (أجمع العلماء على أن على الأغنياء من المسلمين في أموالهم قدرًا سوى الزكاة، إذا نزلت بالمسلمين حاجة لا تندفع إلا بذلك)، وقال أيضًا: (إذا جاع الناس وجب على الأغنياء إطعامهم، ويجبرهم السلطان على ذلك)، وهذا من أعظم محاسن الإسلام؛ إذ لا يترك مجتمعًا يموت فيه الفقير جوعًا بجوار الغني. وقال الإمام ابن العربي المالكي رحمه الله: (إذا خيف على النفوس الهلاك، وجب بذل المال لإنقاذها، وكان ذلك فرضًا)، أيها المسلمون. إن الصدقة ليست منة من الغني على الفقير، وإنما هي فضل من الله على المتصدق، لأن الفقير هو الذي يحمل لك حسناتك إلى ميزانك. ولذلك قال رسول الله ﷺ فيما رواه مسلم: ((ما نقص مال من صدقة))، يا للعجب! العقول تقول: المال ينقص إذا أخرج منه. أمّا الوحي فيقول: ((ما نقص مال من صدقة))، قال العلماء: لا ينقص حقيقة؛ لأن الله يخلفه بركة، أو يزيده رزقًا، أو يدفع عنه من البلاء ما لو نزل لأذهب أضعاف ذلك المال. لهذا قال سبحانه في سورة سبأ: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}، وقال جل شأنه في سورة البقرة: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ}، أي: يبارك فيها ويضاعف أجرها. كم من إنسان ظن أن الصدقة تذهب ماله، فإذا بالله يفتح له أبواب الرزق من حيث لا يحتسب. وكم من مريض جعل صدقته سببًا في شفائه.

وكم من مهموم فرّج الله همّه بصدقة أخفاها بينه وبين ربه. وكم من بيت امتلأ بالبركة لأنّ أهله جعلوا للفقراء نصيباً دائماً من أموالهم. ولذلك قال النبي ﷺ: (داووا مرضاكم بالصدقة))، ونحن نعيش في زمان كثرت فيه الفتن، واشتدّت فيه الأزمات، وغلت الأسعار، وكثر المدينون، والأرامل، والأيتام، والمرضى، والنازحون، والمنكوبون، فإنّ الواجب على أهل اليسار أن يتقرّبوا إلى الله بمواساة المحتاجين، وأن يجعلوا لأنفسهم صدقةً جارية، وعطاءً مستمرّاً، فإنّ الله لا يُضيع أجر المحسنين. أيها المسلمون. إنّ الحديث عن الصدقة ليس حديثاً عن دراهم تُعطى، ولا عن دنانير تُبذل، وإنما هو حديث عن قلوب امتلأت يقيناً بالله، فهانت عليها الدنيا، وعظمت عندها الآخرة. ولذلك كان سيّد المتصدّقين، وإمام المحسنين، نبينا سيّدنا محمد رسول الله ﷺ، أكرم الناس يداً، وأوسعهم عطاءً، وألينهم قلباً للفقراء والمساكين. يقول سيّدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في الحديث المتفق عليه: ((كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة))، تأملوا هذا التشبيه النبوي العظيم، ((أجود بالخير من الريح المرسلة))، فالريح لا تفرّق بين غني وفقير، ولا بين قريب وبعيد، بل تعمّ الجميع، وكذلك كان عطاء رسول الله ﷺ. وكان ﷺ يُعطي عطاءً من لا يخشى الفقر. روى الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه: ((ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلّا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومِهِ، فقال: يا قوم أسلموا؛ فإنّ محمّداً يُعطي عطاءً لا يخشى الفاقة))، فكان كرمه ﷺ دعوةً قبل أن يكون صدقة. أيها المسلمون. تخرّج من مدرسة النبوة، رجالٌ باعوا الدنيا واشتروا الآخرة. فهذا سيّدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لما دعا النبي ﷺ إلى الصدقة في غزوة تبوك، جاء أبو بكر بماله كله. فسأله رسول الله ﷺ: ((ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيتُ لهم الله ورسوله))، أيّ يقين هذا؟ وأيّ ثقة بالله هذه؟ وأيّ قلب امتلأ بمعرفة الله حتى هانت عليه الدنيا كلها؟! ثم جاء الفاروق سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: اليوم أسبق أبا بكر. فجاء بنصف ماله. فلما سأله النبي ﷺ: ((ما أبقيت لأهلك؟ قال: مثله، قال عمر رضي الله عنه بعد ذلك: فوالله لا

أسبقه إلى شيء أبداً))، لأن مدرسة الصديق مدرسة لا تُدرك. ثم جاء سيّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه. وجاءت غزوة العُسرة، والمسلمون في شدة، والزاد قليل، والمال عزيز. فقام عثمان رضي الله عنه فجهز جيش العسرة. حتى قال النبي ﷺ: ((ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم))، وفي رواية أنه جهّز ثلاثمائة بغير بأحلاسها وأقتابها، وتصدّق بألف دينار بين يدي رسول الله ﷺ. فجعل النبي ﷺ يقلّب الدنانير بيده الشريفة ويقول: ((ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم))، أيها المسلمون. ولم يكن هذا حال الصحابة وحدهم. بل سار السلف الصالح على هذا النهج. لقد فهم أولئك أنّ المال لا يبقى. فكم من غني أصبح فقيراً. وكم من مالك أصبح مملوكاً. وكم من جامع للذهب تركه لغيره، ثم وقف بين يدي الله لا يحمل إلا عمله. ولذلك قال الحسن البصري رحمه الله: (يا ابن آدم، إنما أنت أيام، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك، وما مالك إلا ما قدّمت)، وقال بعض السلف: (العجب ممن يبخل بماله على نفسه، فيتركه لعدوّه يرثه من بعده)، أيها المسلمون. لقد كثرت في زماننا أسباب الحاجة، وغلّت الأسعار، وضاقّت المعيشة على كثير من الناس. وفي أحياننا من يتعفّف فلا يسأل. وفي قرابتنا من يخجل أن يمدّ يده. وفي بيوت المسلمين أرامل يكابدن مرارة الحياة. وأيتام فقدوا حنان الآباء قبل النفقة. وشباب أثقلتهم الديون. ومرضى عجزوا عن ثمن الدواء. وطلبة علم لا يجدون ما يعينهم على مواصلة طلبهم للعلم، وإخوان لنا في أقطار المسلمين أصابتهم الحروب والمجاعات والحرائق والكوارث، ينتظرون من الأمة قلباً رحيماً ويداً معطاءة. فلا يقل أحدنا: لقد أخرجتُ زكاتي وانتهى الأمر. بل ليعلم أنّ باب الصدقة لا يُغلق حتى تُغلق صحيفة العمل بالموت. قال تعالى في سورة الحديد: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ}، وقال سبحانه في سورة البقرة: {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ}، إنّ المؤمن لا ينتظر أن يُطلب منه، بل يبحث بنفسه عن مواضع الخير، كما يبحث التاجر عن مواضع الربح. أيها المسلمون. إحذروا الشح؛ فإنه أصل كل شر. قال تعالى في سورة: {وَمَنْ يُّوقْ شَحَّ نَفْسِهِ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}، وقال النبي ﷺ فيما رواه مسلم: ((اتقوا الشح؛ فإنّ الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم))، وأكثرُوا من الصدقة في السر؛ فإنها تطفئ غضب الرب، وتدفع

البلاء، وتزيد العمر بركة، وتجلب الرزق، وتشرح الصدر، وتورث محبة الخلق، وتكون لصاحبها ظلًا يوم لا ظل إلا ظل الله. أيها المسلمون. يقول الله تعالى في سورة المنافقون: {وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ}، ثم ادعوا الله بقلب حاضر، فإنَّ الدعاء مخ العبادة. اللهم اجعلنا من عبادك المتقين، ومن أوليائك الصالحين، ومن عبادك المنفقين المحسنين. اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل، والصدق في السر والعلن، والقناعة بما قسمت، والبركة فيما أعطيت. اللهم طهر قلوبنا من الشح والبخل، وزينها بالسخاء والجود والرحمة والإحسان. اللهم اجعل أموالنا عونًا لنا على طاعتك، ولا تجعلها سببًا لغفلتنا أو شقائنا. اللهم ارزقنا الإنفاق في سبيلك، واجعل ما ننفقه ذخيرةً لنا يوم نلقاك. اللهم بارك لأهل الصدقات في أموالهم، وأولادهم، وأعمارهم، وأرزاقهم، واخلف عليهم بخير، كما وعدت في كتابك الكريم. اللهم انصر إخواننا المستضعفين في كل مكان، اللهم كن لهم ناصرًا ومؤيدًا ومعينًا، اللهم أطعم جائعهم، وآمن خائفهم، واشف جريحهم، وارحم شهيدهم، وفك أسر أسيرهم، ورد غائبهم سالمًا. اللهم أطفئ الحرائق حيث اشتعلت، واحفظ البلاد والعباد من الفتن والكوارث، وأنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، واجعل ما أنزلته قوةً لنا على طاعتك. اللهم احفظ بلادنا الجزائر وسائر بلاد المسلمين بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، وأصلح ولأمة أمور المسلمين، ووفقهم لما فيه خير العباد والبلاد. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ